التشيّع والغرب، دوافِع وكوابح الحوار

بقلم السفير- لقمان الفيلي

الآفاق المستقبلية لأتباع أهل البيت عليهم السلام

المؤتمر الأول - الانطلاقة والتأسيس

بغداد ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣ م

مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث

تقديم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تحت شعار (أمة وسطًا) أقامت مؤسسة (إنكي) للدراسات والبحوث مؤتمرها الدولي الأول (الآفاق المستقبليّة لأتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) بمشاركة نخب فكريّة وعلميّة من أتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ من ثلاث وعشرين دولة من قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا وأستراليا، وحضور ممثلين عن المراجع العظام في النجف الأشرف، وأكثر من ثلاثين باحثًا من حوزة النجف الأشرف وعشرة رؤساء مراكز بحثيّة، ومنظمات دوليّة، ورؤساء لمراكز ومجالس التمثيل الشيعيّ في عدد من بلدان العالم، فضلاً عن مجموعة من الشخصيات الأكاديميّة ممن هم برتبة (أستاذ - بروفيسور) والحاملين لشهادة الدكتوراه في تخصصات متنوعة.

تزامن عقد المؤتمر الذي استمر يومين (٣-٤/ شباط ٢٠٢٣) مع ذكرى ولادة أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الثالث عشر من شهر رجب.

ويهدف المؤتمر إلى المساهمة في:

١. جمع النخب الشيعية الاثني عشرية ذات المشارب الفكريّة المختلفة من دول متعددة من أجل التكامل العلميّ والمعرفيّ والعمليّ في رحاب مدرسة أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وتبادل التجارب والأفكار الناجحة والسعي في تعميقها ونشرها.

٢. ترسيخ محورية ومركزية مرجعيّة النجف الأشرف وحوزتها المباركة في ريادة العمل الشيعيّ في العالم ورعايته وتوجيهه واستثماره للأهداف التي خطها أئمة الهدى عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ التي تحمل حوزة النجف الأشرف ومرجعيتها المباركة أعباءها وتقوم بدور كبير لتحقيقها.

٣. البحث العلميّ الرصين في تحديد الموقع الاستراتيجيّ لأتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، واقتراح المعالجات العلميّة الناجعة لنقاط الضعف في أماكن تواجدهم والبحث العلميّ الجاد في ترصين نقاط قوتهم.

٤ . استشراف الآفاق المستقبليّة لأتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في العالم ومناطق تواجدهم والإضاءة على الفرص المحليّة والعالميّة من أجل استثمارها وطرح المعالجات والآليّات للتعامل مع التحديات وتحويلها إلى فرص .

٥ . ترسيخ ثقافة الاندماج الإيجابيّ الشرعيّ لأتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في مجتمعاتهم ومشاركة النخب العلميّة الفاعلة في تأصيل مبدأ المواطنة والرعية من خلال فكر أهل بيت العصمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

٦ . ترسيخ مفهوم الوحدة الإسلاميّة والتعارف البشريّ بين الناس ضمن مفاهيم وتعاليم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

٧ . إبراز دور التشيع الأساسيّ في صياغة قيم العلاقات الإنسانيّة والدوليّة والمساهمة في الإضاءة على المخزون الشيعيّ في طرح الحلول العلميّة للمشاكل التي تواجهها المدارس الفكريّة الراهنة .

٨ . تطوير الفرص التعليميّة والتربويّة والأكاديميّة لأتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في العالم من خلال مناقشة خريطة طريق التكامل التربويّ والتعليميّ للشيعة في العالم .

٩ . تسليط الضوء على منجزات أتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لأوطانهم والبشريّة من خلال ما سيجمعه المؤتمر من دراسات وبحوث في هذا المجال .

انطلقت أعمال المؤتمر باستقبال سماحة السيد (عمار الحكيم) راعي المؤتمر الباحثين المشاركين في جلسة مفتوحة استمع فيها سماحته إلى مداخلاتهم قبل أن يلقي كلمة أوجز فيها مسيرة بناء العراق الجديد ، وأبرز التحديات التي واجهتها التجربة الديمقراطيّة في العراق ، كما تحدث سماحته عن دوافع عقد المؤتمر والأهداف المرجوة منه ، مباركًا للجميع انطلاق أعماله .

شهد اليوم الأول من المؤتمر عقد ست ورش علميّة مركّزة ، ناقش كل منها ملفًا محوريًا بأوراق بحثيّة أعدّها الباحثون مسبقًا ، هي :

أولًا: مفهوم المواطنة ضمن فكر أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وتضمنت محورين : الهوية الوطنيّة لأتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في أوطانهم ، والشيعة في المهجر

ثانيًا: أتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والحكم .

ثالثًا: أتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والعلاقات الدوليّة .

رابعًا: استراتيجيّة التكامل الشيعيّ .

خامسًا: التربية والتعليم والثروات الشيعيّة في العالم .

سادسًا: مركزية ومحورية مرجعيّة النجف الأشرف وحوزتها لأتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

وشهدت الورش نقاشات معمقة امتدت لساعات، وخلصت كل منها إلى مجموعة من التوصيات، و ألقي في المؤتمر (٣٧) بحثًا علميًّا، دارت حولها قرابة الستين ساعة من النقاشات والحوارات.

وشهدت الجلسة الختامية للمؤتمر إلقاء كلمة لسماحة السيد عمّار الحكيم، ركّز فيها على مفهوم (الوطنيّة الشيعيّة)، معلنًا إطلاق مشروع المؤتمر، داعيًا النخب الفكريّة والعلميّة للإسهام في إنضاج النظريّة.

كما شهدت الجلسة الختاميّة إلقاء كلمة اللجنة العلميّة للمؤتمر، والبيان الختامي الذي اشتمل على مجموعة من التوصيات والتأكيدات.

مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث

التشيع والغرب، دوافع وكوابح الحوار

السفير - لقمان الفيلي[٥٩]

٥٩ . – سفير العراق لدى جمهورية المانيا الاتحادية . – المشرف على مكتب الوزير في مركز وزارة الخارجية ايلول ٢٠٢٠ – آب ٢٠٢١ . – رئيس دائرة امريكا في مركز وزارة الخارجية ايلول ٢٠١٩ – آب ٢٠٢١ . – رئيس الدائرة القانونية في مركز وزارة الخارجية أيلول ٢٠١٩– تشرين الأول ٢٠٢٠ . – المتحدث الرسمي لرئيس الجمهورية د . برهم صالح تشرين الثاني ٢٠١٨ – ايلول ٢٠١٩ . – مستشار لشؤون العلاقات العامة والإدارة والتخطيط الاستراتيجي (قطاع خاص)، ٢٠١٧ – ٢٠١٨ . – سفير العراق لدى الولايات المتحدة، آيار ٢٠١٣ – حزيران ٢٠١٦ – سفير العراق لدى اليابان حزيران ٢٠١٠ – آيار ٢٠١٣ – سفير في مركز وزارة الخارجية، كانون الثاني ٢٠١٠ – آيار ٢٠١٠ – مدير برامج لتقنيات المعلومات، شركة (EDS HP حاليا)، المملكة المتحدة، حزيران ٢٠٠٦ــ٢٠٠٩ – مدير أقدم لبرامج التطوير والتكنولوجيا، Ceridian Centrefile، المملكة المتحدة، ١٩٩٩ ٢٠٠٦ – عمل في ادارة العديد من الشركات المالية والاقتصادية العربية والأجنبية، كخبير في التواصل الإستراتيجي والتطوير التنظيمي . – نشرت له رواية بعنوان "بين جيلين" تتضمن محاورات عن الموضوعات الحيوية التي تساعد المجتمع على تنمية قيمه ومعالجة قدراته – ٢٠٢١ . – نشر له كتاب يبحث في الشؤون السياسية والاجتماعية في العراق بعنوان "بناء العراق : – الواقع والعلاقات الخارجية وحلم الديمقراطية" – صدر له كتاب بعنوان "جمهورية فايمار الألمانية ودروسها للعراق"، تناول به المفاصل التاريخية والسياسية والاقتصادية، للاستفادة منها في تجربة العراق الديمقراطية . – حاصل على شهادة معهد ادارة المشاريع (PMP)/ الولايات المتحدة الامريكية .

المقدمة:

خلق الله تعالى بني البشر أجناسًا متنوّعة في أعراقهم وأصولهم، إذ يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقد نشأ نتيجة هذا التّنوّع اختلاف بين النّاس، فكل أمّة من الأمم تسكن بقعة جغرافيّة معيّنة وتجمع أفرادها سمات وخصائص وقواسم مشتركة، وإنّ هذا التّنوّع والاختلاف أثرى الحياة الإنسانيّة بشكل كبير، فترى كلّ أمّة من الأمم تسعى للتّعرف على الأخرى والاستفادة من ميراثها وتجربتها الإنسانيّة، كما تتبادل الأمم المعارف والعلوم والحكم فيما بينها وتتعلّم كلّ ما هو جديد ونافع وتسخّره لصالحها.

وأكّد الله (عزَّ وجلَّ) في محكم القرآن الكريم على مسألة الاختلاف بين النّاس في السّعي والهدف والفكر، إذ قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨)، كما قال (عزّ وجلَّ): ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ (الليل: ٤)، فالاختلاف حالة صحيّة تثري الحياة الإنسانيّة وعليه ينبغي التّعامل معها بأساليب ومنهج حكيم حتّى لا يتحوّل الاختلاف إلى تصادم وتناحر وهنا تكمن المشكلة التي لا يمكن حلها إلاّ بالحوار كأسلوب حضاريّ بين البشر.

فما هو الحوار؟ الحوار في كنهه هو شكل من أشكال النقاش الهادئ يهدف إلى تعزيز التبصر المتبادل، والبحث عن أهداف مشتركة بين الأطراف المختلفة.

وقبل بدء الحديث عن الحوار، من المهم أن نبين أولًا طبيعة الحوار وخصاله عن غيره من أنواع التواصل مع الآخر. إذ تختلف درجات التواصل داخل المجتمعات بين النقاش والحوار والجدال. فالنقاش يحدث عندما يكون المتكلمون على الفكرة نفسها، إذ إنهم يتكلمون بينهم لزيادة معلوماتهم حولها وتأكيد ما اتفقوا عليه من جوهر الموضوع. في حين يكون الحوار لتقريب اختلاف بين طرفين بشأن فكرة معيّنة؛ لهذا فهم يتكلمون فيما بينهم للوصول إلى الحق وفهم مشترك، مستخدمين أساليب النقاش والبحث العلميّ والمحاكمات العقليّة والأدلة والبراهين وما إلى ذلك من أمور. أمّا الجدل فيكون بين أشخاص مختلفين بشأن فكرة معيّنة ويمتلكون مسبقًا قناعات راسخة في عقولهم وليست لديهم أيّة نية بتغيير قناعاتهم. وعليه فالحوار هو عمليّة حضاريّة لتعاطي جماعي بين طرفين مختلفين للتفكير نحو الحقيقة بصوت مرتفع.

ولنجاح عملية الحوار – التي سنفصلها لاحقًا في هذه الورقة – هناك مستلزمات عديدة ضروريّة، منها الاستماع للآخر بتعاطف لا بفوقية، والبحث عن أرضية مشتركة،

والسعي لاستكشاف أفكار ووجهات نظر جديدة، وأخيرًا عرض الافتراضات غير المدروسة في العلن لتدقيق حقيقتها.

تتضمن الورقة من مجموعة من العناوين الأساسيّة، مثل الشيعة، الشيعة والغرب، مسؤولية الأطراف الشيعيّة المختلفة، الحوار ومفاتيحه وأخيرًا الخاتمة.

أولًا - الشيعة:

يتواجد الشيعة نوعيًّا في ثلاثة مستويات: فهم الأغلبيّة السكانيّة في بعض البلدان مثل إيران، العراق، لبنان، البحرين، وهم أقليّة في البلدان المسلمة الأخرى، وهم أقليّة صغيرة في بعض بلدان المهجر المختلفة. وعليه نستطيع القول إن التواجد الشيعيّ في العالم واسع وفي قارات مختلفة.

كان الشيعة في القرون الأخيرة يعيشون على هامش العالم، ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين مُنحوا فرصة كبيرة للظهور بقوة والترويج لأفكارهم وآرائهم والدفاع عن حقوقهم، وأدّى ذلك إلى تقبّل الآخرين بهذا الواقع الجديد والتعايش معه، ونحن الآن نتحدث عن مرحلة ومهمة جديدة للشيعة، مرحلة ممكن أن نسميها مرحلة تطبيع الآخرين مع البُعد الحضاري الشيعيّ، وخصوصًا السياسيّ منه.

وبسبب الاضطهاد الذي واجهه الشيعة في أغلب أوطانهم اضطر الكثير منهم إلى الهجرة لا لبلدان الجوار بل عبور المحيطات والقارات نحو دول الغرب، لذلك نرى اليوم تواجد جاليات شيعيّة كبيرة في العالم وخاصةً في بلدان الغرب، إلاّ أنهم لم يستثمروا بعد هذه الفرصة ويستفيدوا الاستفادة القصوى من جغرافيا تواجدهم وقدرات الغرب في التأثير على بلدان الموطن الأصليّة للشيعة خصوصًا أو العالم عمومًا، وهي فرصة كبيرة لقلب المعادلات القديمة وتكوين معادلات تأثير جديدة من خلال معادلة خلق جماعات الضغط على البلدان التي تضطهد الشيعة.

في نصف القرن الأخير، شهدت الجيوسياسيّة الشيعيّة ثلاث مراحل تطورية:

المرحلة الأولى: هي البروز السياسيّ للشيعة ووعيهم الذاتيّ بانتصار الثورة الإيرانيّة التي كانت لها هويّة مذهبيّة واضحة.

أما المرحلة الثانيّة: فكانت بتشكيل كيانات سياسيّة قائمة على الصحوة الإسلاميّة في أعقاب الثورة الإيرانيّة، مثلما حصل في العراق ولبنان والبحرين. .إلخ.

المرحلة الثالثة: هي تفعيل دور الشيعة في الهيكل السياسيّ للدول وتواجدهم في البلدان الإسلاميّة والغربيّة، والذي ساعد على تحسين تفكير الشيعة وتنظيمهم تدريجيًّا،

حتى تمكنوا من الوصول إلى السلطة في بعض البلدان، كما حصل في العراق بعد عام (٢٠٠٣)، في حين لا تزال باقي المجتمعات الشيعيّة تكافح سياسيًّا لتقوية موقفها في بلدانها.

التشيع كمذهب قوي صمد منذ نشوئه رغم شراسة الآخر وحملات الإبادة والكبت، ولكن هذا الصمود جعله أكثر انغلاقًا ويراه الآخر حركة باطنيّة وليست تبشيريّة كما تحدد عقيدتهم. المطلوب منها أن تخرج من دائرتها الضيقة وتعكس ثقتها بنفسها على الميدان العالميّ وليس في حديثها مع نفسها فقط.

تتمتع جغرافيا الشيعة في العالم بأهمية جيوسياسيّة، وذلك لوقوعهم، خصوصًا في منطقة الشرق الأوسط، على جغرافيا الطاقة العالميّة أو مرجعيّتها الدينيّة الإبراهيميّة، ومن ثم من الضروري أخذ التوزيع الجغرافي للشيعة ومواقعهم، وكذلك نوع معتقداتهم في الاعتبار، غير متناسين أن ظاهرة التشيع أصبحت في واقع الأمر محور الكثير من النزاعات الإقليميّة والدوليّة؛ إذ يقيم معظم الشيعة في مراكز جغرافيّة سياسيّة حساسة في العالم، مما منحهم القدرة على القيام بأدوار مؤثرة عندما يسعون لذلك. أمّا في أوروبا والولايات المتحدة وبلدان الغرب الأخرى، ففيها وجود شيعيّ ضخم، إلاّ أنه حديث العهد وليس له وجود عميق بجذوره التأريخيّة.

يحتاج الشيعة اليوم إلى بناء استراتيجيّة مستقبليّة تحفظ وجودهم بمختلف أطيافهم وألوانهم في كل دول العالم، وتقع هذه الرؤية المستقبليّة على جانب المفكرين والمختصين والمرجعيّات الدينيّة لمواجهة جميع التحديات، السياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة والثقافيّة والاقتصاديّة والدينيّة، التي يواجهها شيعة العالم.

وكلنا ثقة بأن من أهداف هذا المؤتمر القيّم هو تقييم المخاطر ومواجهة الاتهامات وتقديم التوصيات للحكومات والمرجعيّات والجهات ذات التأثير في داخل العراق وخارجه، وتنسيق الجهود وتطوير لغة الخطاب الواعي والعمل الشيعيّ العالميّ المشترك، كذلك أهمية التعريف بالمذهب الشيعيّ بشكل متطور وبلغة معاصرة. وهنا من المهم إيجاد حلقة وصل بين الطبقة المثقفة والأكاديميّة والمرجعيّات الدينيّة للوصول لتكامليّة في الرؤية الشيعيّة، خدمةً للمذهب الشيعيّ بشكل عام.

ولعلَّ السؤال الأهم أمامنا كشيعة هو بشأن الهدف المطلوب من هذا اللقاء بين الكيانات والشخصيّات الشيعيّة المشاركة بالمؤتمر، وما يجب أن يخرج به المؤتمر من توصيات للمشاركين أنفسهم ولمن هو خارج المؤتمر. أمّا إذا طُلب منا أن نختصر المهمة في سطر واحد، فنجيب بالقول: «أن يعمل المؤتمر على جعل الشيعة طائفة

متجانسة فاعلة في مجتمعاتها وفي مواجهة تحدّياتها مع خلق الفرص لبناء فضاءات حواريّة، بينهم ومع الآخر، تنعكس إيجابًا على مجتمعاتهم».

ولعلَّ أهم ثلاثة تحدّيات تواجه الشيعة هي:

- غياب الهيكليّات العمليّة للتنسيق الشيعيّ العالميّ.
- عدم وجود استراتيجيّة خارجيّة، إقليميّة أو دوليّة، متفق عليها بين الشيعة لتفعيل دورهم وإبراز قضاياهم الجوهرية.
- وأخيرًا، تحديد النماذج الحضارية التي يريدون تقديمها لأوطانهم أو خارجها، على المستوى: الإنسانيّ، أو إدارة الدول، أو تطوير العلوم والصناعة والتكنولوجيا، أو مواجهة النماذج الفكريّة والحضاريّة الأخرى.

ثانيًا - الشيعة والغرب:

كيف يرانا الآخرون؟ سؤال مهم جدًا نحتاج أن نفهمه بالتفصيل. قبل بضعة أعوام نشر مسؤول أمريكيّ متخصص بالشرق الأوسط مقالًا تحت عنوان «الشيعة هم ثقب أسود لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط».

وابتدأ مقالته بالنص «إنه تشويه دائم للسياسة الخارجيّة الأمريكيّة أن يتم النظر إلى تجربتنا الكاملة عن العالم العربي والإسلام من خلال عيون السُنة. من خلال حلفائنا تفسر الولايات المتحدة الناس والأحداث، وباستثناء إسرائيل، فإن جميع حلفائنا في الشرق الأوسط هم من السُنة. غالبًا ما نتحدث عن الدمقرطة في الدول ذات الأغلبيّة الشيعيّة - ولا سيَّما لبنان وإيران والعراق - ولكن ليس لدينا واجهة حقيقية مع هذه المجتمعات سوى مجرد ثنائيّة «ميليشيا - سيئة»؛ «الشعب - صالح» والجماهير المضطهدة التي تتوق إلى التحرر من الاضطهاد. وهذا صحيح جزئيًا. لكن لدينا القليل من المعرفة المؤسسية عمّا يريده هؤلاء الشيعة المضطهدون بالفعل أو كيفية التعامل معهم. هناك حاجة ملحة للدبلوماسية الجماهيريّة مع المجتمع الشيعيّ، وبناء علاقات مع ذوي المصلحة من الزعماء الدينيين الشيعة، وقبل كل شيء، أخذ مخاوف الطائفة الشيعيّة في الاعتبار في عملية رسم السياسيات عندنا. ما الشيعة في الغرب: تهديد أمنيّ أم تهديد أيديولوجيّ أم ثقب أسود؟. لم يواكب عملية إشراك الجمهور الشيعيّ في تركيزنا الجديد على إيران. بعبارة أخرى، تفتقر الولايات المتحدة فعليًا إلى أي مشاركة مع الهيأة السياسيّة الشيعيّة. نحن عادة لا

نستضيف الزعماء الدينيين الشيعة في المناسبات الرسميّة ووجبات الإفطار وما شابه ذلك، ولا سيَّما أعضاء المرجعيّة». انتهى الاقتباس.

عندما يجري أي حوار، داخل الشيعة أو بين المسلمين أو مع الغرب، نحتاج أن نفكر بشأن طبيعة حدود هذا الحوار، أي ما هو جدول أعمال أو نطاق هذا الحوار؟ وماذا عليه أن يغطي ليكون ذا ثمرة وله آثار مفيدة؟. هنا من الضروري أن نفكر بخمسة أبعاد لهذا الحوار، وأن نُشّخص الأطراف الشيعيّة المعنيّة بكل بعد على انفراد وكذلك جمعًا. الأبعاد الخمسة هي: السياسة الدوليّة، المواطنة والاندماج، الدين والأخلاق والعقيدة، التعليم والتفاهم بين الثقافات والمجتمعات، وأخيرًا التنميّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

من النتائج المهمة الجديرة باهتمامنا الشديد هي التركيز على قضايا المواطنة والاندماج للشيعة في مجتمعاتهم، وخصوصًا الغربيّة منها، باعتبارها ثاني أقوى عامل في تشكيل حالة الحوار بين الغرب والإسلام بعد بُعد السياسة الدوليّة، وأهمية فعالية المواطنة والاندماج للشيعة في الدول الأخرى واضحة وبشكل خاص في أوروبا.

الحوار بين المسلمين (شيعةً وسُنة) والغرب أمر بالغ الأهمية في عالم اليوم. فالإرهاب والتطرف في العقدين الآخرين مثلًا طغى على المشهد وكان شاغل العالم الغربيّ والشرقيّ، هذه وغيرها من القضايا الحيوية تحتاج أن تنطوي على معالجات تتضمن استراتيجيّات معقدة وحسابات سياسيّة واقتصاديّة وثقافيّة ومجتمعيّة مختلفة.

ولعلَّ عملنا في ساحات العالم المختلفة علمنا عدم وجود توحد كامل يجمع الغرب في رؤاه، ومن الجانب الآخر لا يوجد اتحاد شيعيّ أو إسلاميّ على الكثير من القضايا والتي قد نعتقدها حيويّة أو مصيريّة. في بعض النواحي، الغرب الذي يضم الولايات المتحدة والسويد ليس أكثر تماسكًا من الإسلام الذي يوحد إندونيسيا والمملكة العربية السعوديّة. هذا التنوع المتأصل، أو لِنَقُل عدم الاتحاد الكامل داخل المعسكرين، دفع بعض المراقبين إلى رفض مصطلحات مثل «الحوار بين الغرب والمسلمين» باعتبارها غامضة وغير دقيقة. ويعترض آخرون على أن المصطلح يعيد إنتاج المعارضات الواسعة والمضللة، التي أشاعها «صموئيل هنتنغتون» في طرحه بشأن صراع الحضارات.

هذه الانتقادات، وإن كانت مفيدة، تخطئ الهدف، سواء رغبنا أو تعاطفنا معها أم لا، فإن مفاهيم «الغرب» و«العالم الغربي» و«الإسلام» و«الطائفة الشيعيّة» وغيرها

موجـودة فـي قاموسـنا السياسـيّ واليومـيّ لتبقـى علـى غـرار المصطلحـات الأخـرى المتنـازع عليهـا، مثـل «حقـوق الإنسـان» و«العولمـة»، فهـي جـزء مـن مفرداتنـا السياسـيّة. هنـا يجـب أن نبـذل قصـارى جهدنـا لتعريفهـا بدقـة، وأن نسـعى لتكـون ذا فهـم واسـع عنـد أغلـب الأطـراف، مـع درايـة كاملـة بالواقـع المعّقـد والمتعـدد الأوجـه الـذي يصفونـه ونعيشـه.

وأخيـرًا نقـول إن الاجتمـاع الـذي عُقـد بيـن فضيلـة البابـا والمرجـع الأعلـى السـيد علـي السيسـتانيّ فـي (آذار - ٢٠٢١) كان نقطـة تحـول مهمـة فـي عمليـة الحـوار بيـن الشـيعة والغـرب. نعـم كلاهمـا مـن دعـاة الحـوار بيـن الأديـان والوحـدة، وكلاهمـا يُديـن العنـف الـذي يسـتخدم الديـن غطـاءً. وهـذه لـم تكـن الزيـارة البابويـة الأولـى للعـراق فحسـب، بـل كانـت المـرة الأولـى فـي التأريـخ التـي يلتقـي فيهـا رئيـس الكنيسـة الكاثوليكيـة برئيـس المؤسسـة الإسـلاميّة الشـيعيّة الاثنـي عشـرية.

ثالثًا - مسؤولية الأطراف الشيعيّة المختلفة:

أمّـا إذا تحدثنـا عـن الأطـراف الشـيعيّة المعنيـة بالحـوار، فهـي متعـددة وتشـمل الكثيـر مـن قطاعـات المجتمـع، أفـرادًا وجماعـات، ومؤسسـات حكوميّـة وأهليّـة.

فـأي حـوار ضـروري أن لا ينحصـر بالقيـادات السياسـية بـل يعمـل علـى تكثيـف جهـود العامليـن فـي الحكومـات ورجـال الأعمـال والديـن ووسـائل الإعـلام والأوسـاط الأكاديميّـة. وسـيتطلب إنجـاح عمليـة الحـوار المثمـر جهـودًا تعاونيـة مـن جميـع أصحـاب المصلحـة مـن الحكومـة والشـركات والديـن والإعـلام والأوسـاط الأكاديميّـة والمجتمع المدنيّ لاسـتباق أي أزمـة، وإنشـاء تحالفـات ضروريّـة وإيجـاد حلـول. إذن ضـروري أن نفهـم الأدوار بالتفصيـل:

أ - السياسـيون: القـادة السياسـيون مـن الطائفـة الشـيعيّة لديهـم مسـؤوليات واضحـة لمعالجـة مناطـق التوتـر الرئيسـة بيـن الـدول وداخلهـا، وذلـك مـن خـلال كل مـن الدبلوماسـيّة التقليديّـة والاتصـالات العامـة المتطـورة، فإنهـم فـي وضـع فريـد يسـمح لهـم ببنـاء تحالفـات شـاملة تجمـع المسـلمين الشـيعة مـع باقـي المسـلمين وغيـر المسـلمين لمعالجـة المشـكلات المشـخصة والملموسـة.

ب - رجـال الأعمـال: بالإضافـة إلـى تعزيـز النمـو الاقتصـاديّ وفـرص العمـل، يمكـن لقـادة الأعمـال تعزيـز ثقافـات الشـركات التـي تهتـم بتنميـة التنـوع الثقافـيّ والدينـيّ فـي كل مـن البلـدان ذات الأغلبيّـة المسـلمة وغيـر المسـلمة. وكمواطنيـن نشـطين فـي قطاعهـم التجـاري، يحتـاج قـادة الأعمـال لفلسـفة حيويّـة موجهـة نحـو تفعيـل وإنتـاج عمليـة الحـوار.

ج - وسائل الإعلام: في سياق العولمة، برزت وسائل الإعلام كصانع نقدي للرأي العام والنخبة فيما يتعلق بالغرب والعالم الإسلاميّ (الشيعيّ والسُنيّ وغيرها من الطوائف). وتقوم الصُحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون والإنترنت بنشر الأخبار والآراء والصور والتحليلات التي تشكل إطارًا للمناقشات المحليّة والوطنيّة والدوليّة. وعليه لم تكن هناك حاجة إلى تغطية منطقيّة ومتوازنة أعلى مما هي عليه اليوم.

د - المجتمعات الدينيّة: يجب أن ينخرط القادة الدينيون، علماء ونخب، بنشاطات في عمليّة الحوار، فمن دونهم ستفشل أية عمليّة حوار، المجتمع يرجع لهم عند الشدائد ويثق بهم أكثر من ثقته بباقي قطاعات المجتمع. وعلى قياداتهم بيان القيم الوسطيّة والسلميّة للإسلام الضروريّة من أجل نزع فتيل التوترات المجتمعيّة المستمرة بالتفجير. صوت التطرف غالبًا ما يكون طاغيًا على المشهد، ويسعى المتطرفون دومًا إلى إغراق الأصوات البنّاءة بأمور جانبيّة. هنا من الضروري لأبناء المؤسسات الدينيّة من علماء ونخب أن يتحاورا وينسقوا مع باقي الأطراف لتكون عمليّة الحوار مثمرة.

هـ - التعليم والثقافة: يتمتع المهنيون التربويون في المرحلتين الثانويّة وما بعدها بدور مهم في تعزيز الحوار كثقافة، والذي يمكن أن يعالج الفجوات المعرفية ويهيئ المواطنين لعالم يتميز بالتنوع الثقافيّ والدينيّ.

و - المجتمع المدنيّ: لكي يكون الحوار بين الغرب والعالم الإسلاميّ (عمومًا) بنّاءً وفعالًا، يجب أن يتعمق في المجتمع مبدأ إشراك النساء والأقليّات العِرقيّة.

ومن الضروري أن نبين أن الحوار ليس بديلًا عن القيادة السياسيّة والحل العمليّ للمشكلات التي نواجهها كطائفة شيعيّة مع الغرب. لكن الجهود المطلوبة لتقليل المواجهات مع الغرب وتحديد جداول أعمال فعّالة للحوار في الجوانب الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، لها أهمية حيويّة.

رابعًا - الحوار ومفاتيحه:

عندما تدار عملية الحوار بشكل جيد، تكون فوائدها كبيرة، وتنجح في إزالة الصور النمطيّة القديمة التي كنا نحملها على الآخر، وتغير عملية التعاطي مع الآخر من عدم الثقة والشك إلى الإيمان بإمكانيّة الوصول إلى تحديد أهداف مشتركة تأتي بالنفع على الأطراف المتحاورة. ويمكن للأشخاص الذين كانوا سابقًا على خلاف مع بعضهم أن ينسجموا مع الأهداف والاستراتيجيّات، ويمكن أن يكتسبوا وجهات نظر ورؤى جديدة،

وتحفيز مستويات جديدة من الإبداع لم تكن موجودة سابقًا، وأخيرًا تقوية الروابط السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة بين الشيعة أنفسهم ومع الغرب.

في كثير من الأحيان ترانا لا نستمع لبعضنا على الإطلاق، وأقصد هنا بين مجتمعاتنا ومع الآخر. الحوار في كنهه هو عمليّة مناجاة، ونحن نطلق عبر آليّات التواصل وابلًا من المعلومات عنا وعن الآخر الذي نختلف معه، أو نطلق رسائل نصية لبعضنا البعض بشأن سردية نحن وحدنا نؤمن بها، أو نكتب مدونة أو ننشر تغريدة عن أنفسنا لأنفسنا، بلغتنا التي نفهمها نحن فقط. لكن هل هناك من ينتبه لما نقول ويتأثر إيجابًا بما نقول؟ وإذا كانوا كذلك، فهل اقتنعوا بما فيه الكفاية ليأخذوا قرارًا أو يغيروا موقفًا سابقًا ضدنا؟

مع مراجعة تجارب مجتمعاتنا الحوارية يستطيع المرء منا أن يقر بأن هناك فجوة لم نعالجها جوهريًا بعد، وهذه الفجوة ليست مرتبطة بخلل معين هنا أو هناك، بل مناهج تعاطٍ مختلفة عندنا مع الآخر في فهم الأحداث وتفاسيرها وكيفية التعامل معها. أدناه بعضٌ من المعالجات لهذه الفجوة:

أ- القواعد الأساسيّة التي يمكن أن تساعد في جعل عمليّة الحوار منتجة، هي:

- أن ينصبّ التركيز على المصالح المشتركة وليس المصالح الخلافيّة.
- الفصل بين عملية الحوار وعملية صنع القرار.
- توضيح الافتراضات التي يمكن أن تؤدي إلى تشويه بعض وجهات النظر وإبرازها.
- تشجيع الناس على الكشف عن وجهات نظرهم وافتراضاتهم قبل التكهن بآراء الآخرين وافتراضاتهم.
- استخدام أمثلة ملموسة لإثارة قضايا عامة.
- تركيز العملية على الحِراك بين أنظمة القيم وليس الناس.
- عند الاقتضاء، تشجيع المشاركين على التعبير عن المشاعر المصاحبة للقيم الراسخة.
- تشجيع العلاقات بين المتحاورين من أجل إضفاء الطابع الإنسانيّ على المعاملات.
- السعي لخفض مستوى عدم الثقة قبل السعي لتحقيق أهداف عملية مشتركة.

ب - حتّى نتعامل بحكمة مع من نختلف معهم علينا مراعاة ما يلي:

- أن يكون الاختلاف بين النّاس وفق آداب الحوار والنّقاش حتّى لا يتحوّل إلى خلاف.
- أن لا يتكبّر الإنسان على مخالفيه فيرفض كل ما لديهم من أفكار ومعتقدات.

- الاستفادة من الاختلاف والتّنوع بين النّاس في تكوين فكرٍ جديد يجمع تلك الأفكار كلّها.

ج – أمّا مقوّمات الحوار الناجح، أي الشروط التي تضمن نجاح الحوار والوصول إلى الهدف المرجو، فهي:

- استخدام اللغة القويّة: لغة قوية مبنية على وضوح الألفاظ وتنظيم الأفكار المراد التحدث بها حتى يتم الحصول على النتائج المرجوة من الحديث، كذلك لا بُدَّ من الإقدام على استخدام الألفاظ التي تقع في الطرف الآخر نفسه وتؤثر عليه.
- اختيار الأسلوب: يجب أن تتم عملية الحوار بين الأفراد على أساس أسلوب جميل يضمن عدم تجريح الأطراف المتحاورة وبما يكفل الوصول إلى الأهداف المرجوة من الحوار.
- احترام التخصص: يجب على المتحاورين احترام خصوصية بعضهم، وعدم النقاش في مواضيع ليس لها علاقة باهتمام الطرف الآخر.

د – تُقسم أنواع الحوار إلى ما يأتي:

- الحوار مع الذات، وهو أحد أنواع الحوار العلمي التي يقوم فيها المُحاور بمُراجعة أفكاره، وتصحيح مواقفه؛ اعتمادًا على جلسات النفس والأحاسيس الداخليّة، حيث يقوم فيها الإنسان بمراجعة نفسه، والوقوف معها، والتأمل فيها؛ مما يُؤدي لمُراقبة الإنسان لنفسه وأفكاره، ويُطلق عليها اسم حوار الـ(أنا) أو حوار الذات.
- الحوار الداخليّ وهو الحوار الوطني الذي يعني التعايش الثقافي والحضاريّ اللذين يُسهلان الحوار.
- الحوار مع الآخر، ويُعرف باسم حوار الحضارات، أو حوار الشمال والجنوب أو الحوار العربيّ الأوروبيّ أو الحوار الإسلاميّ المسيحيّ أو حوار الشرق والغرب، فهو الحوار بين الأديان والحضارات المختلفة التي تختلف بثقافاتها ونظرتها لوجود الكون، حيث يهدف الحوار مع الآخر إلى التعرف على طبيعة الآخرين والتفاهم معهم.

في عالم العولمة ترانا نعيش عالم السرعة وإن المتغير في أغلب الأمور هو الثابت الواحد، وأن اليقين قد لا يبقى يقينًا، من وجهة نظر الكثيرين، لأمد طويل. فعالم العولمة وشبكات التواصل والهواتف الذكيّة تعني عمليًا التشكيك بكل يقين نؤمن به. وعليه نحتاج إلى أن نكون أذكياء بشأن كيفية التحدث مع بعضنا ومع الآخر عبر

استراتيجيّات الحوار، نحن بحاجة إلى أن نكون قادرين على التغلب على الاختلافات، وإيجاد أرضية مشتركة، وبناء سويّ في المعنى والهدف، وتحديد الاتجاهات بيننا ومع الآخر. ونحتاج إلى أن نكون قادرين على التفكير معًا كمجموعات، وكفرق، وكلجان، وكمجتمعات، وكمواطنين.

بالعموم لدينا اختلاف مع الآخر (داخل الوطن أو خارجه، مسلم أو غير مسلم) في طبيعة تطبيقنا للحوار كمنهج، وما ورثناه من تعاقب الأجيال السابقة لم يساعدنا في تنمية منهاجنا الحواري نحو الإيجاب. إذ لكل جيل مكوناته الثقافية والنفسية والتربوية المختلفة، فمزاجه سابقًا ربما لم يكن على وئام (أو على الذبذبات ذاتها) مع جيلنا الحالي. وهذه قد ازدادت مع الزمن إذ يتم الآن حرق مراحل متعددة نتيجة تداخل التكنولوجيا والثورة المعرفيّة والرقميّة/ الاتصاليّة على واقعنا.

الخاتمة:

علينا أن نعترف بأن الحوار ليس سهلًا أو مباشرًا دائمًا، ويمكن أن يفشل من حيث لم نعتقد أو نخطط، إذ يتطلب الحوار الفعّال أن يكون لجميع المشاركين مكانة متساوية، وأن يستمعوا باحترام وتعاطف، وأن يتم استكشاف الأفكار والافتراضات بانفتاح وبدون حكم مسبق.

وأخيرًا دعوني أكون صريحًا معكم أكثر وأقول إن سعينا للحوار مع الغرب هدف نبيل وضروري نعمل عليه، ولكن ضمن منطق المهم والأهم، ضروري أن نفكر جديًّا كيف نستطيع أن نعالج مشكلاتنا الداخليّة العراقيّة، وخصوصًا الشيعيّة منها، إذ لدينا أزمة داخليّة كبيرة تتمثل بعدم الثقة بين الأطراف العراقيّة وحتى داخل الطائفة أو المكون الشيعيّ. وقد انعكس ضعف الثقة هذا على كل مجريات حياتنا اليوميّة. قد يكون لدينا هدف أكبر في خلق أجواء عالميّة للحوار بين الشيعة والغرب، ولكن قبلها نحتاج أن نتحاور بين أنفسنا نحن شيعة العراق بشأن ما نريد أن نصل له من أهداف مشتركة. عندما نتحد في رؤانا، نستطيع أن نتحاور مع الآخر (العراقيّ) أو الأجنبيّ بقوة وثبات ووضوح؛ لأننا نعيش في وطن واحد، فالآخر العراقيّ غير الشيعيّ مهم لنا أيضًا، إذ لا نستطيع بناء الوطن من دونهم، فهم شركاء لا يمكن الاستغناء عنهم، هنا ضروري أن نفكر بالشراكة لا بالتهميش، وبالأخر كمواطن عراقيّ وليس بالبُعد الطائفيّ. فكما للشيعة في العراق القدرة على رسم السياسة العامة للدولة عليهم أيضًا مسؤوليّة إدارة دفة

الحكم بأقل الخسائر مع إيجاد مستلزمات الاستقرار والتنمية، فضريبة الحكم قد تكون عالية ولكنها ضروريّة لمعالجة خلل تأريخيّ ورثوه.

عليه من المناسب هنا أن نسعى لطرح بعض الأفكار لحل هذه الأزمة لكي يكون الحل مفيدًا ومثمرًا ومستدامًا ويغير من الواقع نحو الأفضل ويساعد على تقوية المنظومة الديمقراطيّة الفتيّة التي عندنا في العراق. صحيح أننا نواجه في الصميم أزمة معقدة ومتوارثة عبر أجيال ولكن في الوقت نفسه هناك حاجة لخلق مناخات سياسيّة ومجتمعيّة تساعد في البحث عن تعجيل الحلول. وعليه فهناك مجموعة مستلزمات حواريّة مهمة وضروريّة على السادة السياسيين والنخبويين بمختلف مشاربهم أن يفكروا فيها ويتبنوها قدر الإمكان، وهي:

١ - الوصول إلى قاموس مفردات ومفاهيم مشتركة قدر الإمكان بين الأطراف لكي تختصر مراحل الحوار ووضع أسس صحيحة لبناء فهم مشترك.

٢ - البحث عن أرضية مشتركة في الرؤى المستقبلية لعقد الحوار مع الأطراف الأخرى.

٣ - إيجاد قنوات تواصل مباشرة عند الأزمات (ولنسمه الخط الساخن أو المباشر) بين القيادات لكي لا نزيد التعقيد وخصوصًا أن مجتمعاتنا تفضّل علاقات شخصيّة ومباشرة كمقدمة لبناء الثقة بدل التراشقات والملاسنات الإعلاميّة.

٤ - الاعتراف بأخطاء الماضي، ولو مع النفس فقط، وذلك بعد مراجعة كل طرف لدوره.

٥ - فتح قنوات تواصل مباشرة ومستمرة بين مستشاري القيادات لكي لا يتوقف الحوار.

٦ - العمل على عدم تدويل الأمور قدر المستطاع؛ وذلك لأن ازدياد تدخل الأطراف الخارجيّة سيزيد التعقيد وأن الأزمات لن تزول بالضغوطات الخارجيّة.

٧ - العمل على تحديد معالم خارطة طريق لتفكيك الأزمة ضمن مظلة الدستور، والتعامل السلميّ بعيدًا عن تهديدات حمل السلاح أو حشد الشارع، وترسيخ الديمقراطيّة، واستقلاليّة القضاء، ودعم مفاهيم المواطنة والحقوق الدستوريّة.

٨ - البحث عمومًا عن حل عراقيّ أولًا ومن ثم مد اليد للأخرين خارج الحدود لمساعدتنا.

٩ – ترك التصعيد الإعلاميّ ضد الآخر وإيقاف اتهامات الآخر بالعمالة والـلا وطنية وغيرها من المفردات التي تزيد التعقيد وترسخ الحقد وتنقل المشكلات إلى الشارع بدل أن تكون بيد القيادات وعقلاء القوم.

المهمة ليست سهلة، ولكنها ليست مستحيلة، فعمق الخلل كبير وثقل التركة ليس بالخفيف، ولكن نعرف كذلك أن البُعد الحضاري والأصالة للأمم لا تأتي من فراغ بل بجهد مجتمعيّ كبير للانتقال من دولة مرهقة تكثر انسداداتها إلى دولة حيويّة متطلعة للتطور تعتمد على الشباب وطاقاتهم كشريان لتدفق الدماء الصحية فيها. المهمة صعبة ولكنها ممكنة من خلال مراعاة مستلزمات النجاح والإدراك بأن التمني وحده لا يكفي، بل يحتاج أن يستند إلى إرادة قوية وإدارة رصينة لتلك الإرادة.